الرسالة الثلاثينية

في التحذير

من الغلـــو فـــي التـــكفير

أو

" رسالة الجفر

في أن الغلو في التكفير يودي إلى الكفر"

للشيخ

أبي محمد عاصم المقدسي

منبر التوحيد والجهاد

* * *

http: //www. tawhed. ws
http: //www. almaqdese. net
http: //www. alsunnah. info
http: //www. abu-qatada. com
http: //www. mtj. tw

((يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم))

المائدة (54)

– تنويه –

أعلم جيدا أن ممن سيطلع على كتابي هذا ، من الطواغيت وأذنابهم.. ومن المرجئة وأفراخهم ، من قد يفرح به للوهلة الأولى ، ظاناً أنه من بضاعتهم المزجاة.. وهذا لا يزعجني بحال.. لأنني أوقن أنه وبمجرد أن يطالع أي منهم ، بعض ورقات منه ، سيعرف فورا أنني لم اكتبه لسواد عيون أمثالهم..

فما كنت لأقر أعينهم بشيء مما أكتب يوما من الأيام..

وإنما كتبته نصحاً لأخوة أحبة ، وإشفاقا على آخرين..

وحرصا على جناب دعوة غالية.. ودفعا عن دين عظيم..

فهو لمن طالعه من هؤلاء ، ثمرة الأحباب..

ولمن تفحصه من أولئك حنظلة العدا..

فأسأل الله تعالى القبول..

أبو محمد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين..

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة قامت بها الأرض والسموات ، وجعلها الله عروة وثقى علق بها النجاة ، إذ ضمنها سبحانه حقه على العباد ، ولذا جردت لأجلها سيوف الجهاد وشرع القتال والاستشهاد ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ومفتاح العصمة التي دعا الأمم على ألسنة رسله إليها ، وقطب رحى دين الإسلام ، ومفتاح دار السلام.

وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ، أرسله سبحانه رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ومحجة للسالكين ، وحجة على المعاندين، فصل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد..

فاعلم حفظنا الله تعالى وإياك ، من مهاوي الإفراط والتفريط ، ومن مزالق الغلو والتقصير أنه قد زارني بعض الأخوة الأفاضل في معتقل الجفر الصحراوي [1] وذكروا لي ما يتهمنا به أذناب النظام من تكفير الناس بالعموم ، وأنه قد اغتر بذلك بعض السماعين لهم ممن لا يملكون فرقانا بين الحق والباطل ، وبين الغث والسمين..

فقلت يومها لأولئك الاخوة على شبك الزيارة ولم يكن يومها عليه غيري ، وعساكر السجن وضباطه يستمعون ، وأنا أرفع صوتي إرادة إسماعهم ما مجمله: (إن هذه الفرية التي ينشرها هؤلاء ما هي إلا علامة من علامات إفلاس النظام وانهزامه أمام هذه الدعوة المباركة ، إذ لا يصير الخصم إلى الكذب والافتراء إلا عند اندحاره وإفلاسه من الحجج والبراهين ، فنحن لا نكفر إلا من كفره الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نتكلم في كتاباتنا وخطاباتنا ودروسنا ولا ندندن إلا حول كفر عبيد

---

[1] سجن الجفر: معتقل صحرواي ، من أقدم سجون الأردن ، أسس في عهد البريطانيين سنة 1372هـ (1952م). ويبعد قرابة (300كم) جنوب عمان ، وأقرب مدن الأردن إليه معان (60كم) نقلنا إليه في أواخر شهر ربيع ثاني سنة 1419هـ ، وتم التضييق علينا وتشديد الإجراءات فيه ، بعد ان عاين النظام نفاذ دعوة التوحيد بقوة عبر أسوار السجون الأخرى.

القانون الوضعي وأوليائه وأنصاره ، ممن يشرعونه أو يحرسونه وينصرونه ، نحذر من ذلك وندعو الناس إلى البراءة منه والكفر بطواغيته واجتناب عبادتهم ونصرتهم ، وقد بينا ذلك في كتاباتنا التي نبذلها لكل أحد ، وقد أوصلناها للنظام ومحاكمه وعساكره ونوابه ، وكشفنا فيها زيف وزور قوانينهم وتشريعاتهم ، وما تحويه من كفر بواح وشرك صراح ، ومن ذلك كتابنا " كشف النقاب عن شريعة الغاب " و " محاكمة محكمة أمن الدولة وقضاتها إلى شرع الله " وغيره مما كتبناه في السجن أو خارجه ، عرينا فيه قوانينهم ، وكشفنا النقاب عن وجهها الدميم ، وأظهرنا قبحها ونتنتها ومناقضتها لشريعة الله المطهرة.. وقد واجهناهم.. بفضل الله تعالى وتوفيقه وحده.. بذلك في كل محفل ، وفي كل مناسبة وفي كل مقام ، وصرحنا وصدعنا به بين ظهرانيهم ، وفي سجونهم ، وهززنا به أركان محاكمهم.

فلما صدموا بقوة حجتنا ، وألجموا بظهور دعوتنا المباركة والتفاف الشباب حولها ، وعجزوا عن ردها وإطفاء نورها ، لأنها دعوة ربانية ترتكز على نور الوحي ، وتستند إلى مشكاة النبوة ، حادوا إلى الكذب والافتراء ، وسعوا في محاولة تشويهها في أعين الناس وأسماعهم.. لعلهم أن يظفروا عن طريق الكذب والافتراء ، والزور والبهتان ، بما عجزوا عنه من طريق الحجة والبرهان..)

ولما لم يقدروا على ترقيع كفرهم الذي اتسع خرقه على الراقع ، وعجزوا عن إثبات إسلامهم المدعى ، إلا من طريق أوراقهم الثبوتية المزيفة ، ووثائقهم وأسمائهم المزخرفة ؛ تحولوا إلى اتهامنا بتكفير الناس أجمعين بالعموم.. وهو ما يعلم القريب والبعيد أنا منه برءاؤا ، وبهتونا وسمونا بأسماء يمقتها ويكرهها وينفر منها أهل الإسلام ، كالخوارج والتكفيريين والإرهابيين والمتطرفين ، ونحوه.. وذلك كي ينفروا الناس عن دعوتنا ، ويرهبوهم من الكفر بهم ، ويصدوهم عن البراءة منهم ومن قوانينهم الكفرية ومناهجهم الشركية..

وشاركهم في ذلك ، وطبل وزمر لهم أقوام غصت حلوقهم بهذه الدعوة الطيبة ، وضاقت صدورهم من ظهور زهرتها وإينانع ثمرتها ، والتفاف الشاب حولها في مدة وجيزة ؛ إذ هي دعوة ربانية مباركة ، تطمئن إليها القلوب السليمة ، وتسلم لها الفطر المستقيمة..

وأعانهم على ذلك الطغيان والبهتان مشايخ ضلال ، وكتاب جهال ، انتسب بعضهم إلى طريقة السلف زوراً وبهتاناً ، فسودوا وجوههم وصحائفهم وأوراقهم بالتحذير من التكفير – هكذا بالعموم دون تفصيل – مع أن من التكفير ما هو حكم شرعي صحيح ، له أسبابه الشرعية وآثاره التي تترتب عليه..

وشنوا فيها الغارة على أصحاب دعوة التوحيد ، بالكذب والبهتان ، والافتراء والروغان ، أعملوا فيهم أقلامهم، وأفرغوا في أعراضهم سموم ألسنتهم وأحقادهم ، حسداً وبغياً ، في الوقت الذي سخروا فيه تلك الكتابات للدفع عن أهل الكفر والطغيان من كفرة الحكام ، فصدقت فيهم هم ، صفة الخوارج البارزة في إغارتهم على أهل الإسلام وتركهم لأهل الأوثان..

وسار في ركابهم أقوام راموا التملق للسلطة ، والتزلف إليها ؛ لعلهم يظفرون ببعض رضاهم ، أو فتاتهم وعطاياهم.. فانطلقوا يحذرون من خطر هذه الدعوة الداهم ، ويقترحون على النظام الحلول ، يدلونه فيها على كيفية التصدي لها.. [2] ظانين من فرط جهلهم أنهم يقدرون بذلك على إطفاء نورها ، أو إخماد وهجها.. وما دروا انهم بذلك واهمين ، لأنهم يرومون محالا بيّـــنه الله تبارك وتعالى في كتابه حيث قال: ((**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم * ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**)) بل يسعون بذلك في إهلاك أنفسهم كما قال سبحانه وتعالى: ((**وهم ينهون عنه وينئون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون**)).

وربما استغل هؤلاء وأولئك زلات بعض الشباب ، أو اطلاقات بعض المبتدئين ، أو المتحمسين الذين لا تخلوا منهم دعوة أو جماعة ، تلك الإطلاقات التي تزول غالبا بطلب العلم الشرعي ، والنظر في كلام العلماء ، وضبط الأصول ومعرفة القواعد والشروط والموانع ومع هذا ، فلم اكن يوما من الأيام – والعدو قبل الصديق يعرف هذا – لأداهن في شيء من تلك الأخطاء ، أو أقر شيئا من تلكم الإطلاقات ، لا أنا ولا غيري من الغيورين من اخوة التوحيد..

وقد تصديت لأشياء من ذلك داخل السجن وخارجه ، وفي بلدان عدة ، وأوقات مختلفة.. فتجمعت لدي من ذلك تجارب أودعت خلاصتها في هذه الأوراق.. وقد تنوع ذلك بحسب ما كان يحتاجه المقام ، فتارة كنت أتصدى لذلك بالنصح ، والوعظ والتذكير ، وتارة كان ذلك بالمناظرة والجدال ، وأحياناً بالكتابة أو الخطابة..

---

[2] ومن هؤلاء سجين جاهلي زجت به السلطة بين الإسلاميين – مع انه ليس له أي خلفية في العمل الإسلامي والدعوة إليه – اجتهد وسعه في مناصحة النظام ودلالته على انجع الوسائل التي تمكنها – في ظنه – من التصدي لخطر هذه الدعوة ، وذلك عندما كنا في سجن البلقاء ، ثم كان من إحسانه الظن بالنظام بعد إعلانه البراءة منا ومن عقيدتنا على صفحات جريدة بعثية ، أن توقع عدم نقله إلى معتقل الجفر الصحرواي – وكذا ظن بعض من كانوا يطعنون في دعوتنا – ظانين أن براءتهم منا ومن دعوتنا ستشفع لهم عند النظام ، وزعموا أن هذا النقل التعسفي إنما هو عقوبة تأديبية للتكفيريين !! فقط ، فخاب ظنهم ، وكانوا في عداد المنقولين ، ولم تغن عنهم مداهنتهم شيئا.

وكنت أبين جهدي في ذلك كله ؛ أدلة الشرع ، وأقاويل أهل السنة والجماعة ، ومباينة تلك الأخطاء والإطلاقات لها ، نصحاً لله تعالى وكتابه ، ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولعامة المسلمين وخاصتهم ، وحرصاً على هذه الدعوة الغالية من أن تشوبها شائبة ، ولذلك فإني أحتسب عند الله ما لقيته في سبيل ذلك من تطاول بعض الجهال أو بعض أصحاب الحماس الأجوف ، لعدم متابعتي وإقراري لما تستحسنه عقولهم من ذلك. أو لوقوفي في وجه تلك الأخطاء والإطلاقات والممارسات.. فذلك خير لي من إقرار أحد على الخطأ أو الغلو أو الإفراط الذي قد يشوه هذه الدعوة المباركة ، أو يسوغ لأعدائها الذين لا يفرقون – لأنهم لا يعرفون الإنصاف – بين الراسخين فيها وبين المبتدئين ، ولا بين القائمين بها المتحملين لتكاليفها ، وبين المدعين وصلها من الأدعياء.. ويكون مبرراً لهم وذريعة عندهم لرميها ووصفها بالغلو والتكفير ، أو أنها كما يزعمون ؛ من إفرازات القهر والفقر والأفكار السجونية ، ونحو ذلك من دعاويهم الفارغة المتهافته. التي يلبسون بها أمر هذه الدعوة على الناس وينفرونهم بذلك عنها.

وليس همي هنا الدفع عن نفسي ، فيشفيني في ذلك ويكفيني ، قوله تبارك و تعالى ((**إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور**)) فما ذلك إلا بعض تكاليف هذه الطريق ، وقد وطنا النفس عليها ، وواسيناها بما طال مَن هُم خيرٌ منا، فما من نبي إلا وقد أوذي في نفسه أو عرضه ، ولا بد لورثتهم – إن كانوا صادقين – من نصيب من تبعات ذلك الميراث..

ولذلك فإني في سعة صدر لكل من خالفني أو نال مني وتعدى علي متأولاً ، فما داموا من أنصار هذه الدعوة ، لا تثريب عليهم ، يغفر الله لي ولهم وهو أرحم الرحمين.. وأصرح بهذا هنا إغاظة لأعداء الله وخصوم هذه الدعوة الذين يسعون دوما لاستغلال بعض ذلك للإيضاع بين الصفوف.. [3].

أما من كان من خصوم دعوة التوحيد ، فليس في حلٍّ من ذلك في شيء ، بل الله حسيبه وإليه وحده أرفع شكايتي..

وعلى كل حال فليس للدفع عن شخصي وضعت هذه الأوراق ، بل كتبتها دفعاً عن دعوة غالية ، وحفاظا على جناب دين عظيم ، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يشغلني ما تبقى من العمر بذلك ويتقبله مني ويستعملني وذريتي فيه ، وأن لا يشغلنا بالدفع عن

[3] كما فد جرى معي ومع غيري مرارا ، حين كان أعداء الله ينقلون لنا ، بعض شغب إخواننا علينا ، ظانين أن مثل ذلك قد ينطلي علينا ، او يكون مدعاة للبراءة منهم ، أو الطعن بهم ، وقد كنا بفضل الله نسمعهم ردا على ذلك من الثناء على إخواننا ما يميتهم غيظا.

أشخاصنا أو نحو ذلك من سفاسف الأمور.. ولكن ما يجب أن يتنبه إليه أولئك المنتسبين لدعوة التوحيد ممن يشغبون على إخوانهم لأمور لم تنسجم مع تعنتهم. أو ضاقت عن استيعابها عقولهم ، أن أعداء الله وأعداء هذه الدعوة لفرط جهلهم قد ربطوا الدعوة بأشخاص حملتها ، حتى إنهم لسفههم يظنون ويحلمون بأنها ستزول وتنتهي بسجننا أو بزوال أشخاصنا ، إذ هم كما سمعناهم وسمعهم غيرنا يزعمون أننا أول من أدخل هذه الدعوة ، أو كما يسمونه (فكر التكفير) ، أي: تكفيرهم هم. إلى هذه البلاد ، كذا زعموا هم ، ولم ندَّعه نحن يوما ، فلهذه الدعوة من الأنصار ، ممن سبقونا بالإيمان ونصرة الدين من هم خير منا بأضعاف ((**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**)) لكن ذلك زعم أعداء الله ، وخصوم هذه الدعوة ، فالذي أريد تذكير الشباب به ، والحال كذلك – هو ما قلته مرارا لبعضهم – ان شغبهم علينا ، وطعنهم فينا ، إن كان سيحسب على أشخاصنا وينحصر فيها ، ولن يتعداها ليحمل على انه براءة وطعن بما نحمله من دعوة التوحيد وعداوة للشرك والتنديد ، فليشغبوا علينا ما بدا لهم ، فالله حسبنا ونعم الوكيل ، أما إن كان ذلك سيحسب عند من لا يفرقون بين الدعوة وأشخاص حملتها ، على أنه طعن في هذه الدعوة المباركة وبراءة منها ، فحذار ثم حذار..

أضف إلى ذلك أن عداوتنا وخصومتنا أمست اليوم كما لا يخفى على أحد ، تستجلب رضى أعداء الله وتقرب منهم ، فحذار من خلط الأوراق.. فكم قد رأيت من ضعاف الإيمان ، من يدفع سخطهم ويستجلب رضاهم بالبراءة منا والطعن فينا.. فهذا محذور آخر يجب محاذرته ، وهو استرضاء أعداء الله والتقرب والتودد إليهم بعداوة الموحدين ، فإن الله تبارك وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. وحسب من قصرت همته عن اللحاق بهذه الطائفة القائمة بنصرة هذا الدين ، وجبن عن التحيز إليهم ونصرتهم ولو بالدعاء ، أن يكف عن التخذيل عن سبيلهم – أو إظهار عداوتهم وليدع القافلة تسير..

هذا وأنا اعلم أنني قد استطردت أحياناً في إنكار بعض الأخطاء والتشديد والإغلاظ على أصحابها ، وما ذلك إلا لخطورة تلك الأخطاء، وشناعة وقبح آثارها ، الأمر الذي يدعو في بعض الأحيان إلى شيء من الشدة أو الحزم في إنكارها ، تلك الشدة التي لا تدعونا بحال إلى تعدي حدود الله في أحد من المسلمين أو إلى البراءة المطلقة منهم.. وإن كنا لا نداهن أو نتردد في البراءة من أخطائهم وانحرافاتهم ، ولا نتحرج في ذلك وإن أنكره من أنكره علينا ، وكيف نتحرج منه وقد أمر الله تبارك وتعالى به قدوتنا و أسوتنا صلوات الله وسلامه عليه فقال: ((**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** *

فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون)) فجمع في هذا الأمر الإلهي بين رحمة المسلمين التي منها الحفاظ على حقوقهم وعدم ظلمهم أو التعدي عليهم ، وبين الحزم في البراءة من أخطائهم كي لا تحسب على الدين أو تنسب إليه. ويبقى الحق والحفاظ على وجه هذه الدعوة المشرق ، وجناب هذا التوحيد العظيم أهم عند تعارض المصالح ، وأعز عندنا من الخلق أجمعين.. وكم أغضب وأسخط استصحابي لهذه القاعدة في حلي وترحالي كثيراً من المقربين ، حتى قلت:

وإن يكن الرحمن ليس بساخط فلست بسخط العالمين أبالي

وعلى كل حال فالشدة إن قصد بها ردع الزائغ عن زيغه ، ورد المنحرف عن انحرافه ، وهدايته إلى الجادة والمنهاج ؛ محمودة في مثل هذه المقام ، وهي كما ذكر شيخ الإسلام من (مصالح المؤمنين التي يصلح الله بها بعضهم ببعض ، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين ، تغسل إحداهما الأخرى ، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين)[4] وهي من جنس الدواء المر الذي يصبر المريض على مرارته ويتحملها ويتجرعه لما يرتجي من فائدة.. وقد قيل (من بصرك فقد نصرك ، ومن وعظك فقد أيقظك ، ومن أوضح وبين — وإن شدد — فقد نصح وزين ، ومن حذر وبصر ، فقد أعذر وما قصر).. والعامة عندنا يقولون: (الذي يُبكّيك ويبكي عليك، خير ممن يضحكك ويضحك عليك).. فهذا النوع من الشدة والتخشين محمود لأن الغاية منه إصلاح المسلمين ، وبيان الحق لهم وتحذيرهم من مواضع الزلل ، دون ان يكون في ذلك إهدار لحقوقهم الإسلامية ، أو بغي أو تعد وظلم أو أخذ بالظنة او تقويل لهم ما لم يقولوه ، كما يفعل من يرقع ذلك بدعوى الإغلاظ على العصاة ، أو زجرهم ، ونحو ذلك من الدعاوى ، التي لا يقفون بها عند حدود الله تبارك وتعالى.. أضف إلى ذلك أننا — كما سيرى القارئ — لم نذكر أسماء في شيء من أخطاء التكفير التي شددنا النكير فيها ، ولا في غيرها ، ولا تعرضنا لأفراد معينين أو لتجمعات محددة ، إذ هذه الأوراق ليست موجهة إلى أفراد مخصوصين ، بل الغاية منها النصح والنفع العام..

ومع هذا فقد بينت في طيّات هذه الأوراق. أن الشباب المنتسبين إلى دعوة التوحيد — إن وجد عند بعضهم شيء من هذه الزلات والعثرات – فهم مع ذلك خير قطعا – بتوحيدهم الذي يحملونه ، وبراءتهم من الشرك التي يعلنونها — من خصوم هذه الدعوة وشانئيها ، الذين لا يستحيون في كثير من الأحيان من إعلان البراءة من دعوة التوحيد وأهلها ، في الوقت الذي يسخرون أعمارهم وما يكتبون في الدفع عن طواغيت

[4] مجموع الفتاوى (ط. دار ابن حزم) (34/28)

الحكم ، والصد عن تكفيرهم ، وهذا لا يماحك فيه إلا مكابر ، إذ الشاهد الصارخ على ذلك ، كتبهم المطبوعة والمنشورة التي توزع بالمجان غالبا..

فمن الظلم والحيف والتطفيف مساواة جرائم هؤلاء ، التي مبعثها غالبا الشهوة والدنيا والتقرب إلى السلاطين وضمان سلامة النفس وأمانيها ؛ بعثرات أولئك الشباب التي مبعثها غالباً الغيرة على الدين، ونصرته والغضب لحرماته ومراغمة أعدائه.. فزلات أولئك الشباب المنتسبين لدعوة التوحيد – إن وجدت – مهما شددنا في إنكارها حرصا على هذه الدعوة المباركة وأهلها ، لا تبلغ بحال مبلغ انحرافات هؤلاء.. [5]

وهي مغمورة في جنب التوحيد العظيم الذي يحملونه ، ويبذلون مهجهم وأعمارهم في الدعوة إليه ، ويتحملون أصناف الأذى في سبيل رفعته ونصرته ، فهو العروة الوثقى التي ميز الله بها الخبيث من الطيب ، وفرق بها بين أوليائه وأولياء الطاغوت ، وهو أصل الدين الذي علق الله به النجاة ، وحق الله على العباد ، الذي تطيش كفته بعشرات السجلات من الأخطاء والخطايا ، وتحرق أنواره جميع الزلات والعثرات ما دامت دون الشرك الذي يحبط الأعمال..

ثم أما بعد..

فقد أردت بهذه الورقات أن أبين للسائل وغيره ، براءتي وإخواني الموحدين أنصار هذه الدعوة المباركة في كل مكان ؛ من تهمة الغلو في التكفير.

وهي فرصة أن أحذر منه الشباب المتحمسين المبتدئين في هذا الطريق ، ممن لم تثبت بعد قدمهم في طلب العلم ، والتبصر في الدعوة ، وضبط المسائل ومعرفة القواعد.. وذلك نصحا لدين الله وعموم المسلمين.. وإظهارا لهذه الدعوة الغالية بوجهها الحقيقي المشرق المبارك ، فأسأله تعالى أن يتقبل ذلك مني ، وأن يعم نفعه في المسلمين..

وقد ضمنتها:

– هذه المقدمة

1- وفصلا في التحذير من الغلو في التكفير ؛ وفيه إشارة إلى أن تكفير الطواغيت وأنصارهم ليس من ذلك..

2- وآخر في شروط وموانع وأسباب التكفير ؛ تعليما للشباب وضبطا للمسائل.

[5] ولذلك قد نسمي هؤلاء تحذيرا منهم ، خصوصا إذا كانوا من رؤوس الضلالة ، بخلاف أولئك المنتسبين إلى دعوة التوحيد كما أسلفنا فهم المعنيون بالإشارة المتقدمة ، لا رؤوس الضلالة.

3- وثالثا في التحذير من أخطاء شائعة أو شنيعة في التكفير ؛ وهو تطبيق عملي مهم للفصل الذي قبله.

4- ورابعا في بيان مجمل حال الخوارج وبراءة الموحدين من عقيدتهم ، وأن خصوم التوحيد هم أشبه الناس بالخوارج.

5- ثم خاتمة في الوصية بالثبات على طريقة الطائفة المنصورة في إظهار الدين والقيام بأمر الله ، وعدم التفريط بذلك أو الانحراف عنه وإن خالفت طريقتها ، ما يهواه الناس أجمعون..

وسميتها رسالة الجفر [6] في أن الغلو في التكفير يودي إلى الكفر ، أو (الرسالة الثلاثينية في التحذير من أخطاء التكفير) وذلك لاحتوائها على ثلاثة وثلاثين خطأ في ذلك.

ولا يفوتني قبل الشروع في المقصود أن أذكر بما لا يخفى على الفطن ، من حال السجون. وعدم استقرار ظروف المعتقل ، وعدم أمانه على أوراقه ودفاتره فيها خصوصا في بلادنا اليوم ، فكم قد صودرت منا مصنفات او ملخصات أو فوائد قد عوض الله بفضله عنها.. وكذا شح المراجع والكتب المهمة بين جدرانها ، فهذا – وقبله بداهة عدم عصمتي من الزلل – عذري إن ندَّ خلل مني أو تقصير..

وأنا مع ذلك من أسعد الناس بالرجوع عن خطأ إن بان لي ، أو باتباع حق ظهر لي ، فحبذا بالناصحين المخلصين..

والحمد لله أولا وآخرا
.. وهو حسبي ونعم الوكيل..
وكتب / أبو محمد عاصم المقدسي
معتقل الجفر – رمضان 1419
من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام
اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك

---

[6] الجفر: اسم المنطقة الصحراوية التي يقع فيها المعتقل الذي سمي بها ، حيث كتبت هذه الأوراق ، فهي اسم بلدة ومكان ، وليس المراد به ابن العتر.

* فائدة: ينسب الرافضة إلى جعفر الصادق كتابا يدعون أنه كتب فيه الحوادث ، يسمونه (كتاب الجفر) وهو من كذبهم عليه ، قال شيخ الإسلام: (والجفر ولد الماعز ، يزعمون انه كتب ذلك في جلده) أنظر الفتاوى (51/4)

الفصل الأول

في التحذير من الغلو في التكفير

[1]

فصل في
التحذير من الغلو في التكفير

اعلم وفقنا الله وإياك إلى العلم النافع والعمل به ، أن موضوع التكفير كحكم شرعي من أحكام الدين ، مع أهميته وضرورته وتعلق كثير من المسائل والأحكام به ؛ هو موضوع خطير بالغ الخطورة ، تترتب عليه آثره الكثيرة في الدنيا والآخرة.. وقد قصر في معرفته أقوام.. فزلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام.. فهو (أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسألة الوعيد)[1] – كما نص شيخ الإسلام ابن تيمية – وقال: (اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة ، وتتعلق بها المولاة والمعاداة والقتل والعصمة ، وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه وتعالى أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين ، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان) مجموع الفتاوى (251/12)

ويقول أيضاً: فإن الخطأ في اسم الإيمان ليس كالخطأ في اسم محدث ، ولا كالخطأ في غيره من الأسماء إذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق) أهـ (246/7)

ويقول: (وكلام الناس في هذا الاسم ومسماه كثير ، لأنه قطب الدين الذي يدور عليه وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء ، والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الإيمان والكفر، لذا سمي هذا الأصل مسائل الأسماء والأحكام) أهـ (34/13).

والمتابع لموضوع التكفير في كتب الفقه على سبيل المثال ، يرى بوضوح تعلق كثير من المسائل والأحكام به ويعرف أهمية هذا الموضوع وخطورته حقاً..

- خذ مثلاً ، في أحوال الحكام وما يتعلق بهم:

– حيث تجب مولاة الحاكم المسلم ونصرته وطاعته ، ولا يجوز الخروج عليه أو منازعته ما لم يظهر كفراً بواحاً ، والصلاة خلفه والجهاد معه مشروع براً كان أو فاجراً

[1] الفتاوى (147/3)

، ما دام في دائرة الإسلام محكماً لشرع الله.. والسلطان المسلم ولي من لا ولي له من المسلمين.

– أما الحاكم الكافر فلا تجوز بيعته ولا تحل نصرته ولا موالاته ، أو معاونته ، ولا يحل القتال تحت رايته ، ولا الصلاة خلفه ولا التحاكم إليه ، ولا تصح ولايته على مسلم.. وليس له عليه طاعة ، بل تجب منازعته والسعي في خلعه والعمل على تغييره[2] ، وإقامة الحاكم المسلم مكانه..

ويتفرع من ذلك كفر من تولاه أو نصر كفره أو قوانينه الكافرة وحرسها أو شارك في تثبيتها أو تشريعها أو حكم بها من القضاة ونحوهم..

- وفي أحكام الولاية: لا تصح ولاية الكافر على المسلم ، فلا يصح أن يكون الكافر والياً أو قاضياً للمسلمين ، ولا إماماً للصلاة بهم.. ولا تصح ولايته على مسلمة في نكاح ، ولا ولايته أو حضانته لأبناء المسلمين ، ولا وصايته على أموال الأيتام منهم ونحو ذلك.

- وفي أحكام النكاح: لا يجوز نكاح الكافر من المسلمة ولا يكون وليها في النكاح[3].. وإذا نكح مسلم مسلمة ثم ارتد بطل نكاحه وفرق بينهما..

- وفي أحكام المواريث: اختلاف الدين مانع من التوارث عند جماهير العلماء.

- وفي أحكام الدماء والقصاص: لا يقتل مسلم بكافر.. وليس في قتل الكافر المحارب أو المرتد، عمداً أو خطأ كفارة ولا دية ، والمسلم بخلاف ذلك..

- وفي أحكام الجنائز: لا يصلى على الكافر ولا يغسل ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يجوز الاستغفار له والقيام على قبره بخلاف المسلم.

---

[2] انظر في وجوب ذلك ؛ فتح الباري (123/13) وشرح مسلم للنووي (229/12) وانظر الصارم المسلول ص13وص216 وانظر للشوكاني (الدواء العاجل في دفع العدو الصائل) ص33-35 ضمن الرسائل السلفية. ولحمد بن عتيق (سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك) ص412 من مجموعة التوحيد.
ولعبد القادر عودة (التشريع الجنائي) (232/2) وغيرهم

[3] أنظر المغني (كتاب المرتد) (فصل: وإن تزوج لا يصح تزوجه.. وإن زوج لا يصح تزويجه لأن ولايته على موليته قد زالت.. الخ)

- وفي أحكام القضاء: لا تصح ولاية القضاء للكافر ، ولا يجوز شهادة الكافر على المسلم.. ولا يحل التحاكم الى القاضي الكافر المحكم لقوانين الكفر. ولا تنفذ أحكامه شرعاً ولا يترتب عليها آثارها..

- وفي أحكام القتال: يفرق بين قتال الكفار والمشركين والمرتدين ، وبين قتال المسلمين من البغاة والعصاة.. فلا يتبع مدبرهم ولا يجهز على جريحهم ولا تغنم أموالهم ولا تسبى نساءهم ونحو ذلك مما يفعل ويستباح في قتال الكفار ، والأصل في دم المسلم وماله وعرضه ، العصمة بالإيمان.. أما الكافر فالأصل فيه الإباحة إلا أن يعصم بالأمان ونحوه..

- وفي أحكام الولاء والبراء: تجب مولاة المسلم ولا تجوز البراءة الكلية منه ، وإنما يتبرأ من معاصيه.. وتحرم مولاة الكافر أو نصرته على المسلمين أو إطلاعه على عوراتهم.. بل تجب البراءة منه وبغضه ولا تجوز موادته.

إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الأمر الخطير والمتأثرة به.. فما هذا إلا غيض من فيض ، قصدنا به التمثيل والتنبيه.. والأدلة على ذلك كله معلومة معروفة في مظانها من كتب الفقه وغيرها..

فمن لم يميز بين الكافر والمسلم التبس عليه أمره ودينه في ذلك كله..

ولك أن تتأمل ما يترتب من مفاسد ومحاذير ومنكرات بسبب خلط أحكام المسلمين بأحكام الكفار فيما تقدم من الأمثلة.. وقد قال تبارك وتعالى في شيئ من ذلك: ((**إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**)).. وليس بخاف على أحد ما نراه اليوم من اختلاط الحابل بالنابل ، واختلال الموازين عند كثير من المنتسبين للإسلام في هذه المسائل والأحكام الشرعية وغيرها.. وذلك بسبب تقصيرهم بل إهمال أكثرهم.. النظر في هذا الحكم الخطير وعدم تمييزهم أو فرقانهم بين المسلمين والكفار.. ويظهر ذلك جلياً في تخبط عوامهم وخواصهم في كثير من الأحكام والمعاملات والعبادات والموالاة والمعاداة ، وغير ذلك من أمور.

مع ان الله تبارك وتعالى قد ميز وفرق في أحكام الدنيا والآخرة بين أهل الكفر وأهل الإيمان ، وأكد هذا الفرقان في غير موضع في كتابه: فقال تبارك و تعالى ((**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة**)) وقال تبارك وتعالى منكراً على من سوى بين الطائفتين وخلط بين أحكامهم: ((**أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ؟**)) وقال سبحانه وتعالى: ((**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً لا يستوون**)) وقال عز

وجل: ((**قل لا يستوي الخبيث ولا الطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث**)) وقال عز من قائل: ((**ليميز الله الخبيث من الطيب**)) فالله تبارك وتعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب ، ويريد سبحانه فرقاناً شرعياً بين أوليائه وأعدائه في أحكام الدنيا والآخرة..

ويريد الذين يتبعون الشهوات من عبيد القوانين أن يسووا بينهم، ولذلك ألغوا من دساتيرهم أي أثر للدين في التفريق والتميز بين الناس ، ولم يبقوا في شيء من قوانينهم أي عقوبة دينية فعطلوا كافة حدود الله وعلى رأسها حد الردة وساووا في أحكام الدماء والأعراض والفروج والأموال وغيرها بين المسلمين والكفار ، وألغوا الآثار الشرعية المترتبة على الكفر والردة في ذلك كله..

وتتبع هذا يطول وقد حل بسببه من الفساد في البلاد والعباد ما لا يعلم تشعبه وخبثه وآثاره المدمرة إلا الله عز وجل ، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في كتابنا (كشف النقاب عن شريعة الغاب) ، وهو أمر غير مستغرب ولا مستهجن من قوم قد انسلخوا من الدين وارتموا في أحضان الكفار ، وأسلموا قيادهم لأولياء نعمتهم الذين قسموا لهم ديار المسلمين وأوصلوهم إلى كراسي الحكم واصطنعوهم في أحضانهم وأرضعوهم من كفرياتهم..

من يمت يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وإنما المستغرب الذي يثير العجب أن يقع في شيء من ذلك كثير من المنتسبين إلى الدعوة والدين.. ! فيموت عندهم التمييز بين المسلمين والكفار ، ويعدم بينهم الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.. وذلك بإهمالهم لأحكام التكفير ، وإعراضهم عن تعلمها وعن النظر في أحكام الواقع الذي يعيشون فيه، وحكم الحكام المتسلطين فيه وحكم أنصارهم وأوليائهم..

فما فتئ كثير منهم بسبب ذلك ، أن صاروا للطواغيت جندا محضرين، وأذناباً مخلصين، وما المانع ؟؟ فهؤلاء الحكام عندهم مسلمون.. !! وفي المقابل شنوا الغارة على كل موحد وداعية ومجاهد وقف في وجه أولئك الطواغيت، أو شمر عن ذراعه ويراعه يكشف زيوفهم ، ويحذر المسلمين من قوانينهم وكفرياتهم وباطلهم ويدعوهم إلى اجتنابهم والبراءة من شركهم وتشريعهم الذي ما أنزل الله به من سلطان..

فشمر هؤلاء الذين طمس الله على بصائرهم، وحرمهم بإعراضهم عن تعلم أهم مسائل الكفر والإيمان ، من الفرقان والبصيرة في أحكام المسلمين والكفار ، شمروا عن ساق العداوة لأولئك الموحدين ، ودفعوا في نحورهم وصدورهم بكل ما يملكونه من

كذب وبهتان ، طعنوا في أعراضهم ، وصدوا عن دعوتهم، وخذلوا دونهم ، وأوضعوا خلالهم يبغونهم الفتنة..

ولم يجدوا في ذلك أدنى حرج ، فهم – زعموا- يتقربون بذلك إلى الله تبارك وتعالى ، فأولئك الموحدون عندهم ، خوارج مارقون ، قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في أمثالهم !! (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) [3] وهم جزما!! (شر قتلى تحت أديم السماء)[4] و(شر الخلق والخليقة) [5] ، بل هم عندهم قطعا !! (كلاب النار) ولذلك فلا حرج عندهم حتى لو تعاونوا مع الطواغيت أو ناصحوهم في قمعهم !! أو ظاهروا أنصارهم عليهم.. !!

فالطواغيت وأنصارهم مسلمون عصاة.. !! يتورع أولئك القوم لا عن تكفيرهم وحسب ، بل حتى عن غيبتهم !! وهؤلاء الموحدون مبتدعة مارقون.. !! لا ينبغي التوقف أو التورع فيهم ، فالبدعة على أصول أهل السنة ، شر وأخطر من المعصية..

هكذا وبهذا التأصيل المنحرف عن جادة السلف.. وبهذا الأخذ المشوه لنصوص الشريعة في غياهب ظلمات العماية في واقع هذه الحكومات ،وباستخفافهم وإعراضهم عن تعلم أحكام التكفير.. والوا الطواغيت والمشركين وعادوا المؤمنين والموحدين.. وتركوا أهل الأوثان وأغاروا على أهل الإسلام..

إذ أن فساد فَهْم الأصول ، إضافةً إلى جهل مدقع في الواقع ، يوجب فساد تطبيقها في الفروع ، ويثمر ضلالاً عن الجادة والمنهاج.. لذلك انطلق الخوارج –كما قال ابن عمر – إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين. وهؤلاء انطلقوا إلى آيات في حق المؤمنين و الموحدين فجعلوها في الكفار والملحدين.. !!

ولذلك فإن من أعظم أنواع الخيانة التي يمارسها اليوم بعض الرؤوس الجهال الذين إتخذهم كثير من الشباب قدوة و أسوة ، فضلوا وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل ؛ خيانتهم للأمانة ، بتحذيرهم المطلق من الكلام في أحكام التكفير ، وصدهم الشباب

---

[3] جزء من حديث مخرج في الصحيحين عن ابي سعيد مرفوعاً

[4] جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي أمامة مرفوعاً.

[5] جزء من حديث أخرجه مسلم في الصحيح عن ابي ذر مرفوعاً في كتاب (الزكاة) (باب الخوارج شر الخلق والخليقة) (158)

دوماً عن النظر في هذا الباب ، وصرفهم عن تعلمه ، باعتباره من الفتنة التي يجب التحذير منها بإطلاق. [6]

وترى أحسن مشايخهم طريقة ممن يشار إليه بالبنان ، يوجه سؤاله ببلاهة إلى المكفرين للحكام ، قائلاً: " ماذا تستفيدون من الناحية العملية إذا سلمنا –جدلاً– أن هؤلاء الحكام كفار كفر ردة ؟" [7]وقول الآخر بعد أن علق على الكلام الأول: (هذا كلام جيد) ؛ (يعني هؤلاء الذين يحكمون على ولاة المسلمين بأنهم كفار ، ماذا يستفيدون إذا حكموا بكفرهم..)[8] إلى آخر هرائه حيث قال في آخره: (فما الفائدة من إعلانه وإشاعته إلا إثارة الفتن ؟ كلام الشيخ.. هذا جيد جداً) !!

ويكتب ذلك وينشر بين الشباب في عشرات بل مئات الكتب والنشرات التي ألفت في التحذير المطلق من التكفير.. وأغلبها مما يوزع بالمجان !! ويسخر ذلك كله للدفع عن طواغيت العصر وأنصارهم.. و الهجوم على خصومهم من الموحدين ، والمجاهدين الذين يفنون أعمارهم ويبذلون مهجهم وأرواحهم في جهاد أهل الشرك وحرب قوانينهم ، ونصرة شريعة الله المطهرة ، والعمل من أجل تحكيمها..

هذا وقد طالعت عشرات الكتب –من جنس ذلك – كتبها طائفة من أهل التخذيل والتلبيس والتدليس ، يحذرون الشباب مطلقاً من التكفير ، مع أن التكفير حكم من أحكام الشرع ، له أسبابه وضوابطه وشروطه وموانعه وآثاره ، فلا ينبغي الصد عن تعلمه أو التخذيل عن النظر والتفقه فيه ، شأنه في ذلك شأن سائر أحكام الشرع وأبوابه.. فقد عرفت مما تقدم بعض الآثار المترتبة على إهماله.. وعرفت ما يرتبط بهذا الحكم من مسائل وأحكام في شتى أبواب الدين..

وأنه سبب رئيس للتميز بين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين ومن أهمله خلط فيه ، واختلطت عليه سبيل المؤمنين بسبيل الكافرين والتبس عنده الحق بالباطل ، وحرم الفرقان والبصيرة في أهم أبواب الدين.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى تحت عنوان (قاعدة جلية): " قال تعالى ((**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**)) وقال تعالى ((**ومن يشاقق الرسول**

---

[6] أنظر على سبيل المثال (التحذير من فتنة التكفير) لعلي الحلبي ، وقد كشفنا بعض تلاعبه بكلام العلماء وتخبطه وتدليسه ، في كتابنا (تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجهم والإرجاء)

[7] الكلام للشيخ الألباني ، أنظر (التحذير من فتنة التكفير) ص71 وأقول: لو لم نستفد من ذلك إلا البصيرة بأعداء الله والتمييز لسبيل المجرمين الذي حرمتم منه بإعراضكم عن هذه الأحكام لكفى.

[8] وهذا الكلام للشيخ ابن عثيمين. أنظر المرجع السابق هامش ص72

من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى)) الآية ، والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة ، وسبيل المجرمين مفصلة ، وعاقبة هؤلاء مفصلة ، وعاقبة هؤلاء مفصلة ، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء ، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء ، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء ، والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء ، وجلّى سبحانه الأمرين في كتابه ، وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان ، حتى شاهدهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام.

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية ، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية ، فاستبانت لهم السبيلان ، كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده ، والطريق الموصلة إلى الهلكة.

فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس ، وأنصحهم لهم ، وهم الأدلاء الهداة ، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة ، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبيل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة ثم جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من تلك الظلامات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم ، فخرجوا من الظلمة الشديدة إلى النور التام ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ومن الغي إلى الرشاد ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الحيرة والعمى إلى الهدى والبصائر ، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به ، ومقدار ما كانوا فيه ، فإن الضد يظهر حسن الضد ، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها ، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه ، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ، وكانوا أحب الناس في التوحيد والإيمان والإسلام ، وابغض الناس في ضده ، عالمين بالسبيل على التفصيل، وأما من جاء بعد الصحابة ، فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين ، **فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما** ، كما قال عمر ابن الخطاب ، إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، وهذا كمال علم عمر رضي الله عنه.. **فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبين له ، أوشك أن يظن بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين ، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل ، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبل المؤمنين ودعا إليها وكفّر من خالفها واستحل ما حرمه الله ورسوله** كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفّر من خالفها) أهـــ.

ثم بين أن الناس في هذا الموضع أربع فرق ، فرقة (عمت عن السبيلين من أشباه الأنعام وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك) وفرقة (صرفت عنايتها إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها) وفرقة (عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة وسبيل المؤمنين مجملة).. وقال ؛ وفرقة هي الأولى: (**من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على تفصيل علماً وعملاً ، وهؤلاء أعلم الخلق**) أهـ من الفوائد مختصراً ص (108) فصاعد.

وبعد.. فإنما قدمنا لك هذه التوطئة في هذا الفصل ، كمقدمة بين يدي الغاية من عقده ؛ حتى لا نكيل بمكيال أولئك الخوالف الذين خلطوا الحق بالباطل بصدهم عن التكفير مطلقاً، فليس غايتنا هنا التحذير من مطلق أحكام التكفير ، وإنما كما هو عنوان الفصل.. التحذير من الغلو في التكفير.

فإنه وكما قد فرط في الحكم الشرعي أقوام ، وأعرضوا عن تعلمه وميعوه وحذروا منه بإطلاق ، ورهبوا الشباب من الاقتراب منه أبداً ، فكان لذلك ما عرفت من آثاره المتقدمة..

فقد قابلهم أقوام أفرطوا وغلوا في اقتحام أبوابه ، دون علم أو بصيرة.. فأعملوا سيوف التكفير وأسنته في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، دون ضابط من الشرع أو وازع من ورع أو خشية ومخافة من الله..

ودين الله الحق بين الغالي فيه ، والجافي عنه.. فلا هو مع هؤلاء في إفراطهم وغلوهم ، ولا هو مع أولئك في تفريطهم وتمييعهم. والفرقة الناجية والطائفة المنصورة القائمة بدين الله ، لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله ، هم الذين حذر الله تبارك وتعالى من اتباع غير سبيلهم فقال: ((**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا**)) ، " فمن دونهم مقصر ومن فوقهم مفرط ، وقد قصر دونهم أناس فجفوا.. وطمح فوقهم آخرون فغلوا.. وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم " [9].

هذا وقد جاءت النصوص الشرعية تحذر وتنهى عن الغلو في الدين عموماً

[9] من عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية في الثناء على السلف مجموع الفتاوى (11/4)

- فروى الإمام أحمد (1/347،215) والنسائي وابن ماجة وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) (10)

- وروى الطبراني في الكبير وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي ، إمام ظلوم غشوم ، وكل غال مارق) وهو حديث حسن.

كما جاءت النصوص الشرعية أيضاً متضافرة تحذر من الغلو في التكفير ، على وجه الخصوص ، وترهب من تعدي حدود الله التي حدّها سبحانه فيه..

- فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب (باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)

- وعن ثابت بن الضحاك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم ، ولعن المؤمن كقتله ، ومن رمى مؤمناً بالكفر فهو كقتله).

وروى أيضاً في الكتاب نفسه من صحيحه في (باب ما ينهى عن السباب واللعن)

- عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه ، أن لم يكن صاحبه كذلك)

- ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن أبي ذر أيضاً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس من رجل أدعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه)

- وروى الحافظ أبو يعلى عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه ، وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله ، انسلخ منه ونبذه وراء ظهره ، وسعى على جاره

(10) صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) وفي الفتاوى أيضاً (3/238) كما سيأتي